

زَرْقَاءُ الْيَمَامَةِ

مَسْرُوحِيَّةٌ شَعْرِيَّةٌ

صَالِحُ زَمَانَانِ

2021 م

ملخص الحكاية التاريخية / الأسطورة:

في القرن الرابع قبل الميلاد (٤٠٠ ق.م)، وعلى أرض نجد، وسط الجزيرة العربية، بمنطقة تُسمى جَوْ، عاشت قبيلتان عربيتان، حيث سكنت قبيلة طسم في (الخرمة)، وسكنت جديس في (البطحاء)، وكلاهما مرؤوس من الملك الباطش عمليق بن حياش، الذي ينتمي إلى قبيلة طسم، ولطالما كان ظلمه لجديس بيتًا وصريحًا ومتزايدًا مع الأيام والأحداث.

أمّا بنو جديس، فقد كان لهم رغم الظلم والجور، حظ خاص، عن كل القبائل والأعراب، ففيهم زرقاء اليمامة، المشهورة بزرقه عينيها، ورجاحة عقلها، وقدرتها على رؤية من هو على مسيرة ثلاثة أيام منها، فكانت خزينة الحكمة لجديس، ولهم منها الرأي السديد، والقلب العطوف على كل فرد من القبيلة.

ذات يوم، ذهبت هزيلة وزوجها قابس، وهما من جديس، إلى الملك عمليق، كي يفصل في خصومتها على طفلها، وبرغم فصاحة الزوجين أمام الملك، إلا أنه لم يحكم بحضانة الولد لأحدهما، بل اختص به نفسه، وجعله له ليكبر في قصره بين خدمه، فأنشدت أمه هزيلة قائلة:

أتينا أبا طسم ليحكم بيننا / فأنفذ حكمًا في هزيمة ظالما
ندمتُ وكم أندم وأنى بعترتي / وأصبح بعلي في الحكومة نادما

فغضب الملك عمليق عليها وعلى قبيلتها، وأطلق في غضبته حُكمًا
جائرًا على نساء جديس ألا تتزوج بكر منهن حتى يدخل عليها، وهو
ما كان، فاستباح نساءهم، وقهر رجالهم، وأذاقهم أشدّ الذلّ وأقسى
الهوان.

وكانت الزرقاء بكلّ حكمتها التي تحجب ظهور أحزانها على أهلها،
قريبةً منهم، تجبر خواطرهم، وتخبرهم بأنّ الهمّ سيزول، وخصوصًا
إذا ما تحدثت مع أجمل فتيات جديس، عفيرة، أخت سيد القبيلة
وفارسها الأسود بن عفار، وحبوبة نوفل، الشاب الشهم من قبيلتها،
الذي كانت عفيرة تتحرق لعودته من أسفار صيده التي تطول لأيامٍ
طويلة، وتخاف أيضًا من أن يفعلَ بها الملك عمليق ما فعله بعرائس
القبيلة من قبل، غير أنها تنسى تخوّفها حين تتذكر أخاها وحميته.

جاء اليوم المنشود، وتزوَّج نوفل بمحبوبته عفيرة، وفي خضمّ العرس
البهيج، وصلت كتيبة عمليق، ومعها الجواري لأخذ العروس صوب
الملك، فانصبّ الحزنُ على الجميع، وأخذوا عفيرة وهي تصرخ في
أهلها، حيث تركها أخوها مكسورًا ومُكرهًا في ليلة زواجها ليحقن دماء
جديس.

لكنّ عفيرة من هول صدمتها، عادت إلى أهلها في ذات الليلة،
مضروبةً، مهتوكةً، تُنشد لقبيلتها وأخيها، وهي تبكي ذليلة:

أيجملُ أنْ يُؤتى إلى فتياتكم / وأنتم رجالٌ فيكم عددُ الرّملِ؟
وتُصبحُ تمشي في الدماءِ عفيرةٌ / جهازًا وزُفّت في النساءِ إلى بعلِ

فلو أننا كنّا رجالاً وكُنتمُ / نساءً لكنا لا نقرُّ على الذّلِّ
فصاح أخوها، وأقسم على أن يثأر لها ويقتل عمليق، وكذا أقسم
عشيقها وزوجها نوفل، وصاحت معهم رجال جديس كلّها؛ ما دعا
الأسود بن عفّار إلى أن يُحكم خطة يستطيعون من خلالها قتل الملك
الظالم عمليق وإبادة قبيلة طسم، دون أن يتواجهوا مع الحامية القوية.

وبرغم رفض الزرقاء أن تُبادَ قبيلة بسبب رجل ظالم واحد، إلا أنّ
قبيلتها جديس قدمت دعوةً للملك عمليق لإكرامه وتوثيق ملكه عليهم
وطاعتهم له، فلبّى الدعوة، ومعه حاميته وخاصته من قادة وفرسان
طسم، فرحّبت بهم جديس، وأقاموا استقبالا مهيبًا للملك عمليق، ثم
تركوه ومن معه يلهون في السمر والغناء، ولمّا بلغ منهم السكر،
انهالت عليهم جديس بالسيوف والرماح، فقتلوا الملك بطعنيتين من
الأسود ونوفل، وفتكوا بكل قادته وفرسانه، وبادروا بملاحقة الهاربين
لإبادتهم. غير أنّ رجلاً واحدًا من طسم اسمه رياح بن مرة استطاع

أنَّ ينجو من هذا الثَّار المميت، فقد كان أختاً من الرضاع للزرقاء، وتركه رجال جديس إكراماً لها.

وفي الأيام التي قضتها قبيلة جديس تحتفل بانتصارها وثأرها، كان رياح بن مرة قد اتجه للتَّبَع حسان، الملك الحميري، مستنجداً به وراجياً له أن يردَّ على جديس ما فعلوه بطسم، حيث قتلوا ملكهم ورؤساءهم وأبادوا رجالهم جميعاً، فنصره التَّبَع حسان، وأمر بجيش يذهب معه إلى جَوّ، للانتقام من جديس. مما جعل رياح يشعر بالسعادة والمنّة تجاه الملك، فأخبره بأمر زرقاء اليمامة، التي تقيم في جديس، وحدّثه عن بصيرتها وقدرتها على رؤية جيش التَّبَع قبل وصوله بثلاثة أيام؛ مما قد يُفشّل الحملة ويُهْلِك الجيش بسبب استعداد جديس لقدمه. بيد أنَّ رياح، ذكّر الملك أنَّ الزرقاء أخته، متمنياً سلامتها وراجياً عفو الملك عنها.

أمّا التَّبَع حسان فبعد أنْ استمع لقصة الزرقاء، اندهش منها، وأمر وزيره وقائد جيشه أنْ يتأكد من خبرها ويتولى أمرها، الذي قاد الجيش صوب منطقة جَوّ، وجعل جنوده يقتلعون الأشجار، ويحملونها أمامهم، كي لا تراه الزرقاء، ولا تنذر قومها بقدومهم.

لكنّها الزرقاء، صاحبة البصر والبصيرة، كانت هناك في مضارب أهلها جديس، تصيح فيهم محدّرةً من العجب الذي تراه، وحين

يسألونها، تقول إنها ترى الأشجار تمشي، ثم تؤكد لهم أنّ خلفها قومًا قادمين للحرب، وأنّ عليهم أن يأخذوا حذرهم. لكنّ جديسًا لم تستمع للزرقاء هذه المرة، على غير عادتهم، منتشين بنصرهم على عمليق وطسم، رغم إلحاح الزرقاء عليهم وإنشادها:

خُذُوا خُذُوا حذرکم يا قومُ ينفعکم / فليس ما قد أرى بالأمرِ يحتقرُ
إني أرى شجرًا من خلفها بشرٌ / لأمرٍ اجتمعَ الأقوامُ والشَّجرُ
وصبَّح الجيش جديس، فقتل الرجالُ كلّهم، وفرتِ النساءُ، ولحقت
جديس بطسم، فكانتا من العرب البائدة التي لم يعد لها بواقٍ في
الوجود.

أمّا زرقاء اليمامة فسُملت عيناها بالشفار، وهي واقفة بين جثث أهلها
جديس الذين لم يستمعوا إليها، وبين أخيها رياح الذي أنقذته من
الموت فأتى به إليها وهو يبكي عليها وعلى حاله.

صرخت زرقاء صرختها الأخيرة حين سال كحلها الإثم مختلطًا بدمها
ودمعها، وكأنّ عيناها التي فقدت بصرها في تلك اللحظة هي المراثية
الخالدة لإبادة العرب (طسم وجديس)، وهي الصوت العابر للدهور،
الذي يُحذّر العرب الباقية من استبدال الحكمة والمودة والإخاء بالظلم
والضغائن والعداء، ويُجدد الأمل -في ذات الوقت- بمستقبلهم وشرق
أجيالهم، وبامتداد أمجاد الأمم العربية المتلاحقة.

الشخصيات:

- ١- الزرقاء: زرقاء اليمامة، امرأة في الأربعين من عمرها، جميلة وهادئة، وكلّ ما فيها يشير إلى الحكمة والجمال.
- ٢- عفيرة بنت غفّار: شابة جميلة، أخت فارس قبيلة جديس وسيدها، وعشيقة نوفل. شخصيتها تتأرجح بين ضدين، فبعد أن كانت مملوءة بالحياة والحب، تعود بعد مأساتها مع عمليق وتُصبح خاويةً شاحبةً على عكس ما كانت.
- ٣- نوفل: من قبيلة جديس، حبيب عفيرة بنت غفّار، الفارس الوسيم الذي يحب الصيد ويفتدي قبيلته.
- ٤- الأسود بن غفّار: فارسُ قبيلة جديس، وزعيمُها، وأخو عفيرة، تظهر عليه ملامح السيادة والشدة.
- ٥- عمليق بن حيّاش: الملك الذي يحكم طسم وجديس، وهو متجبر متعطر، عليه دلائل المجون والقسوة.
- ٦- قابس: زوج هزيلة (من قبيلة جديس).
- ٧- هزيلة: زوجة قابس (من قبيلة جديس)، امرأة حزينة، لكنها ذات حكمة وشاعرية، تعكس صورة الأمهات المكومات في أطفالهن.

- ٨- رياح بن مرة: الناجي من قبيلة طسم، وأخو زرقاء بالرضاعة، فعمره كعمرها، وهو صاحب فطنة وذكاء.
- ٩- حسان: التَّبَع الحميري (ملك)، يتميز بالهدوء والدهاء.
- ١٠- الوزير: وزير التَّبَع حسان وقائد جيشه صوب اليمامة.
- ١١- الحاجب: حاجب الملك عمليق.
- ١٢- قائد الجند: من قبيلة طسم، قائد مجموعة جنود لعمليق.
- ١٣- أهل السوق: يمثلهم أهل الحرف، والباعة، وعامة الناس في مدينة التَّبَع اليماني حسان.
- ١٤- الجوقة الرئيسية: ٣٠ شخصية أو أكثر، يمثلون العموم من قبائل العرب البائدة (عاد وثمود، والعماليق وجُرهم، وأميم وعبيل ووبار، وطسم وجديس)، فيهم أطفال وكهول، ورجال ونساء، يتميزون بأشكالهم وألوانهم وأزيائهم عن عموم الشخصيات في العمل.

زرقاء اليمامة

عدد الفصول: ٤

عدد المشاهد: ١٢

دلالات لون الخط في النص:

- الكتابة باللون الأحمر، هي وصف للمشاهد على المسرح.
- الكتابة باللون الأزرق تعني أنّ العبارات نثرية (لا تُغنى).
- الكتابة باللون الأسود ترمز للأشعار (غناء).

الفصل الأول

المشهد الأول

(يُشكّل الفضاء المسرحي بعمومه صورةً عن خيمة عربية عتيقة، نُصبت في البادية بوصفها العمق الجغرافي للمكان، ثابتة في كل الفصول والمشاهد، وتتغير ألوان إضاءتها إذا ما تغيّر الزمان والمكان، في حين تتكون على خشبة المسرح ديكورات متعددة ومتنوعة.)

(في هذا المشهد تتوزع خيامٌ صغيرة باعتبارها مضارب قبيلة جديس، وخيمة الزرقاء في المنتصف، حيث يوجد على بابها جرن تطحن به حجارة الإثمد، وترتفع حول العديد من أشجار العوسج والعرفج والغضى والثمام).

(تأتي الزرقاء من الكالوس وهي تتلفت كي لا يراها أحد، وفي يديها شيء تخفيه، متجهة إلى خيمتها، وقُبيل خيمتها تظهر الجوقة فجأة بفعل الإضاءة).

الزرقاء: مَنْ أنتم؟!

أحد الجوقة: نحن العربُ البائدة!

الزرقاء: هل تهذي أنت؟ أم أنا التي تهذي؟!

أحد الجوقة: كلانا في الهذيان يا زرقاء. أنتِ تأتين بالإنثمدِ خلصةً
في الليل، ونحنُ شتاتُ يأتي خلصةً من فكرة الرحيل.

الزرقاء: الإنثمدُ ليس سرًّا أخفيه، أنا لا أهربُ من شيءٍ، أرى الأشياءَ
وهي تجيءُ من بعيد. السبعَ واللصَّ.. أعرفُ حتى أين يُمَسُّوا في
الخلاءِ البعيد.

أحد الجوقة: نعرفُ يا زرقاء. نحن من أحفادِك. من أهْلِكِ البائدين،
وأعرابِكِ التائهين.

الزرقاء: ويَحْكُمُ، متى بادَ العربُ؟

أحد الجوقة: فَعَلُوا، وَسَيَفْعَلُونَ. نعرفُ هذا كُلَّهُ.. نحنُ من ليلٍ يدَّخرُهُ
الزمنُ، جئنا من أيامٍ لم تأتِ بعد.

الزرقاء: غرباءُ.. غرباءُ تقولونَ كلامًا غريبًا.

أحد الجوقة: غرباءُ.. نِتَفَّ من القبائلِ البائدة. نحنُ من عادٍ وشمودَ،
والعماليقِ وجُرهمَ، وأميمٍ وعبيلٍ ووبارٍ، وطسمٍ وجُديس!

(تشارك أصوات متعددة من الجوقة في ذكر أسماء القبائل أعلاه.
بحيث يعودون لتكوين كتلة الغناء عند اسم آخر قبيلة، استعداد
للغناء الذي سيأتي.)

الزرقاء: ويلاه. أهلكنا كلُّكم، ما فعلَ بِكُمْ الدَّهْرُ؟!

الجوقة:

ألا أيُّها الدَّهْرُ كيفَ انتهينَا؟

وصِرْنَا من الناسِ في البائِدينَ

ديارُ خواءٍ وموتٍ كثيرَ

ونُسقي الندامةَ دمعَ الحنينِ

(تذهب الجوقة رويداً إلى الخلف وتتشتت في آخر المسرح، فلا يشعر بها أحد، لأنَّ الزرقاء وحدها هي من تراهم، وتستطيع التحدث معهم. أما هي فتجلس على جرنها أمام خيمتها وتطنح أحجار الإثمد، وهي تغني:

الزرقاء:

هذه الأحجارُ تلمعُ

كالنجومِ الشاردةِ

كمَ بجوفِ الليلِ دلَّتْ

قومَ عُربٍ بائدةِ

(تقبلُ عفيرة بنت غفَّار على زرقاء :

عفيرة: زرقاءُ يا زرقاء

زرقاءُ يا زرقاء

الجوقة: يا دُرَّة النساء

عفيرة: زرقاءُ يا زرقاء

الجوقة: زرقاءُ يا زرقاءُ يا أميرةَ المساء

عفيرة: أينَ اخْتَفَيْتِ عَليمةَ الفؤادِ

أينَ غِبتِ غِبتِ يا بصيرةَ العَيْنَيْنِ

كَمْ افْتَقَدْتُ وَجْهَكَ الحَبِيبَ ماذا تفعلين؟

الزرقاء: صباحًا أطحنُ الحنَّاء

مساءً أطحنُ الإِثْمَدُ

وبينهما أرى حولي

فناءً عارماً يُزبدُ

عفيرة:

خَصَّبْتُ يَدَيَّ بِالْحَنَاءِ يَا زَرْقَاءَ
عَسَى أَلْقَى بِهَا مَعْشَوْقِي الْغَائِبِ
وَمَرَّ الْوَقْتُ وَارْتَدَّتْ يَدِي بَيَظَاءَ
مَحَوْتُ بِأَدْمُعِي الْحَنَاءَ
وَقَلْبِي مُقْفَرٌ فِي بُعْدِهِ نَاضِبٌ

الزرقاء:

الْحُبُّ يُحْيِيكُمْ.. الْحُبُّ يُنْقِذُكُمْ
لَا تَيَاسُوا أَبَدًا وَالْحُبُّ يَمْلَأُكُمْ
لَا تَتْرَكُوا شَيْئًا مِنْهُ يُجَرِّدُكُمْ
الْحُبُّ بَيْنَ دُرُوبِ التَّيِّهِ يُرْشِدُكُمْ

عفيرة:

خَبِّرْنِي عَنْ حَبِيبِي.. رَاقِبِي الْأَفَقَ الْبَعِيدَ
أَرْسِلِي عَيْنَيْكَ يَا زَرْقَاءَ قُولِي أَيَّ شَيْءٍ

ما الذي يجري وراء البيد

الجوقة:

الفناء يا عفيرة

ليس غيرَه هناك

ليس غيرَ الفناء

عفيرة:

خبريني الآن يا زرقاء قومي

خبريني الآن قولي ما الذي يجري هناك؟

(تقوم زرقاء، تضع يدها أعلى عينها، وتمد نظرها باتجاه الطرف البعيد
في الأفق، وتجيب على عفيرة:

زرقاء:

أرى رعاة بين أسراب النياق

وغابة من شجر الأفحوان

و(نوفل) المختال فوق الحصان

(عفيرة برقص وفرح شديد، ترد):

عفيرة:

نوفل عاد؟

يا بنة لقمان بن عاد؟

نوفل عاد، نوفل عاد

الجوقة:

عاد الحبيب عاد عاد

عفيرة:

(تواصل زرقاء إمعان النظر، وتمشي خطوتين إلى الأمام كما لو كانت تريد التأكد مما ترى، فتواصل الغناء):

أرى وُجُومَ قابسٍ وحَلَقَهُ هزيلةً

زرقاء:

أرى حُدَاةَ الحُزْنِ والفراقِ

وطامةً في الأفقِ تسعى للقبيلةِ

وامرأةً تُساقِ

(تبدو زرقاء متوترة بعد الرؤية الأخيرة. لكن عفيرة لا تنتبه إلى كلامها عن قابس وهزيلة والشر، وتخرج على رقصها وفرحها وهي تردد: "حبيبي عاد / نوفل عاد / حبيبي عاد".)

الويل للقبيلة

الجوقة:

الويلُ للعشّاق

أيّام حُبلى

بنساء تُسبى

ورجال تُبلى

الويلُ الويلُ

الفصل الأول

المشهد الثاني

قصر الملك عمليق: في ديوان القصر الفسيح، حيث يظهر الثراء واللهو والجبروت في تفاصيل المكان، فكرسيه مرتفع عن الأرض كثيرًا، وأمامه أطباق الفاكهة، وأصناف المشروبات، وتتجول حوله الجاريات اللائي يمازهن ويناديهن إليه، برغم وجود الحراس المدججين عند كرسيه، وعند المداخل، فيقطع عليه حاجبه اللهو، ويقول:

الحاجب: مولاي، ببابك رجل من جديس، اسمه قابس، ومعه زوجته هزيلة، يريدان أن تحكما بينهما.

عمليق: يا لجديس! بئس الرعية هم..
فيم يختصمان؟

الحاجب: في ولدهما الرضيع.. افترقا، وكلُّ منهما يريدُ الولد.

(يشير الملك بيده أن يدخلهما، وحين يختفي الحاجب، يدخل الزوجان، وطفلها في يد أمه هزيلة، وينشدان حتى يصلا عرش الملك).

قابس: أبنائنا سيوفنا
للحرب نَدَّخِرُهُمْ
وللرخاء

هزيلة: أبنائنا حقولنا
وبَهْجَةَ الحياة
من دونهم لا عيشَ
لا هناءَ

(هزيلة وقابس يسلمان على الملك عمليق باحترام وإجلال).

قابس: أيها الملك
أيها الملك

(عمليق لا يرد عليه. إنما يشير له بأن يتحدث، بتأفف واضح).

قابس:

أيها الملك

أَعْطَيْتُهَا الْمَهْرَ كَامِلًا

وَلَمْ أُصِبْ مِنْهُ طَائِلًا

إِلَّا وَلَدًا جَاهِلًا

فَافْعَلْ مَا كُنْتَ فَاعِلًا

عمليق:

قُولَا،

وَحُكْمِي لَا يُرَدُّ..

لَا يُصَدِّ

(جنود القصر يضربون برماحهم الأرض، ويصدرون صوتًا
مخيفًا، تأكيدًا لنفاذ حكم الملك.)

هزيلة:

أيها الملكُ عمليق

هذا ولدي

حَمَلْتُهُ تِسْعًا

وَضَعْتُهُ دَفْعًا

أَرْضَعْتُهُ شَبَعًا

(هزيلة تحاكي غنائها هذا بأدائية وحركة تخدم معناه.)

قابس: كَفَلْتُ أُمَّهُ قَبْلَ أَنْ تَكْفُلَهُ

(قابس يرفع صوته عندما يغني جملة أعلاه، فيظهر غضبه، وتبدأ المجادلة بينه وبين زوجته في الردود اللاحقة، ويتواصل ارتفاع حدّة الحوار بينهما، حتى يسكتهما الملك لاحقاً.)
هزيلة: وَضَعَهُ شَهْوَةً وَوَضَعْتُهُ كُرْهًا

قابس: حَمَلْتُهُ قَبْلَ أَنْ تَحْمِلَهُ

هزيلة: حَمَلَهُ خِفًا وَحَمَلْتُهُ ثِقَلًا

قابس: كَفَلْتُ أُمَّهُ قَبْلَ أَنْ تَكْفُلَهُ

هزيلة: وَضَعَهُ شَهْوَةً وَوَضَعْتُهُ كُرْهًا

(الملك عمليق يسكتهما، فيضرب جنود القصر رماحهم على الأرض، ويصدرون صوتاً مخيفاً، لتأكيد أمر الملك. فيعمّ السكون المسرح، ولا يُسمع إلا صوت خطوات الملك عمليق،

الذي يدور بكلّ خيلاء وتعجرف حول عرشه، وهو يفكر، ثم
يحكم ويقول):

عمليق: القبيلة أمّه وأبوه

والقبيلة لي ولطاعتي

(يتلفّت الملك عمليق إلى جنوده، فيسألهم تكرر ما قال، فيفعلون
فوراً، مع شدة وغلظة في الرد، لتأكيد ما يقول الملك.)

عمليق: القبيلة؟

الجنود: أمّه وأبوه

عمليق: والقبيلة؟

الجنود: للملك عمليق

(كما لو كان يؤكد لهم نجاحهم في مهمة الرد عليه، يتبسّم الملك
وهو ينظر إلى جنوده تباعاً، حتى يصل بنظره لقابس وهزيمة،
فيعود للتجهم، ويواصل الغناء بالحكم.)

عمليق: القبيلة أمّه وأبوه

والقبيلة لي ولطاعتي

حكمتُ أن أجعله بين غلماني

لعله يكبرُ فارساً من فرساني

قابس: ماذا؟

عمليق: حَكَمْتُ أَنْ أَجْعَلَهُ بَيْنَ غِلْمَانِي
لَعَلَّهُ يَكْبُرُ فَارِسًا مِنْ فِرْسَانِي

(الملك يصقق بيده للجنود بعد أن نطق بالحكم للمرة الثانية،
ويعود ليجلس على كرسيه، فيسرع الجنود إلى قابس وزوجته،
ويأخذون الطفل من يد هزيلة انفاذاً لحكم الملك، وهي تصرخ
صراخاً عظيماً محاولة حماية ولدها. في حين بدا الغضب
الشديد على قابس وهو يردد: "ظلم / ظلم / هذا حكم ظالم"
فيسكته أحد الجنود ويضع يده بقوة على فمه وهو يسحبه للخارج
من الجهة اليمنى للمسرح. وتبدأ وقتها هزيلة بالغناء بعد
الصراخ، وهي تخرج من الجهة اليسرى للمسرح، وعقب كل
مقطع من غنائها يقوم الحاجب بتقريعها، لكنها لا تتوقف،
وتغني:

هزيلة: أَتَيْنَا أَخَا طَسَمٍ لِيَحْكُمَ بَيْنَنَا

فَأَظْهَرَ حُكْمًا فِي هَزِيلَةَ ظَالِمًا

الحاجب: تَأَدَّبِي. تَأَدَّبِي يَا امْرَأَةَ.

هزيلة: نَدِمْتُ وَكَمْ أُنْدَمُ وَأَنْتِ بَعَثْتِي

وَأَصْبَحَ بَعْلِي فِي الْحُكُومَةِ نَادِمًا

الحاجب: تَأَدَّبِي. تَأَدَّبِي مَعَ الْمَلِكِ.

هزيلة: أَتَيْنَا أَخَا طَسَمٍ لِيَحْكُمَ بَيْنَنَا

فَأَظْهَرَ حُكْمًا فِي هَزِيلَةَ ظَالِمًا

(تواصل هزيلة الغناء أعلاه ولا تنتهي منه إلا قبيل الكالوس. على ذات المسافة التي يقف فيها زوجها وهو يصارع الجند قبيل الكالوس الآخر. وقبل أن يختفيان من المسرح، ومع انتهاء غناء هزيلة، يقف الملك عمليق ويصرخ على هزيلة صرخة غاضبة.)

عمليق: وَيَحْكُ يا امرأة! وويحَ جديس!

(لفترة وجيزة، تصعد موسيقى توحى بالغضب والويل والعذاب، وتصمت فجأة ليعيد الملك جُمَلته لهزيلة ولقبيلتها، ثم تغني بعد ذلك الجوقة الأغنية التي ترمز لمصاب جديس من عمليق، حيث سترد في مواضع أخرى بالعرض.)

عمليق: وَيَحْكُ! وويحَ جديس!

(أثناء غناء الجوقة، يتحرك الملك من مكانه، ويذهب باتجاه هزيلة، بوجهٍ غاضب، وهو يفرك يديه، فيقوم الحاجب بأخذ هزيلة من يدها بقوة، ليقربها باتجاه الملك القادم نحوهما، حتى يوقفها عنده، فيدور الملك حولها كما لو كان أسدًا ضاريًا.)

الجوقة: أَيَّامٌ حُبلى

بنساءٍ تُسبى

ورجالٍ تُبلى

الوَيْلُ الوَيْلُ

الحاجب: فلتكنْ عبرةً لغيرها يا مولاي. لا يستحق العيش من يُنكر حكمَ الملك، ويصفهُ بالظلم. احكمْ عليها بالموت.. مولاي.

الجنود: الموتُ. الموتُ.

(الملك عمليق يرفض مقترح الحاجب، دونما يتحدث، بل بالإشارة الراضة عبر وجهه. ثم يغني حكمه.)

عمليق: حُكْمِي سَيَسْرِي فِي الْقَبِيلَةِ

سَأَذِلُّ قَوْمَكَ يَا هَزِيلَةَ

(تختلف إضاءة المشهد بعد هذا الغناء الذي يمهد الشر الكبير الذي سيعلنه الملك عمليق، ويحكم به على قبيلة هزيلة جديس، عقاباً لها على ما اقترفته، بحيث تختفي إضاءة القاعة والقصر الملكي، وتحل مكانها إضاءة حمراء، مع إبقاء بقعة ضوء بارزة على عمليق وهزيلة.)

عمليق: حُكْمِي سَيَسْرِي فِي الْقَبِيلَةِ

سَأَذِلُّ قَوْمَكَ يَا هَزِيلَةَ

(تُقرع الطبول، إيدانًا بالحكم القاسي الذي سيطلقه الملك عمليق.)

عمليق: بعدَ اليوم، لن تتزوّجَ بكّرٍ من جديس، حتى أكونَ أنا مُفترِعَها، ثم من بعدي، تُزَفُّ إلى زَوْجِها.

(تضرب صوت الموسيقى الهادرة المسرح، والملك يعود صوب كرسیه ويغيب في الظلام، في حين يهرول الجنود في كل اتجاه، وهزيمة تُجرّ لخارج المسرح -الإضاءة- والجوقة تغني بعد هذا الصخب الذي جاء بعد حكم عمليق، ورغم أنها تغني ذات الكلام، إلا أن الأداء يميل للحزن والانكسار في هذه المرة.)

الجوقة: الويلُ للقبيلة

الويلُ للعشّاق

أيامُ حُبلى

بنساءٍ تُسبى

ورجالٍ تُبلى

الويلُ الويلُ

الفصل الثاني

المشهد الأول

(الجوقة في جهة المسرح البعيدة، تبدأ الغناء تحت بقعة ضوء وحيدة، ويمرّ من أمامها أثناء الغناء عددٌ من النساء يرتدين ثياب العرس، وهن منكساتُ الرؤوس. في حين تتغير بقية المسرح تحت ستار الظلام، ليصبح لاحقاً مضارب قبيلة جديس والزرقاء).

الجوقة:

كفّفوا يا فوارس

دَمَعَ ذَاتِ الْحِجَالِ

يا لِحْزَنِ الْعِرَائِسِ

يا لِذَلِّ الرِّجَالِ

(تتكشف الإضاءة على ساحة قبيلة جديس. حيث الزرقاء تكفكف امرأة تبدو عروسًا باكية مع أهلها في طرف المسرح. وهزيمة بثياب ممرغة بالتراب، تمشي في منتصف المسرح وتتحدث كمن ذهب عقلها، فيراها والد العروس وأمّها، ويبدؤون في شتمها وطردها).

هزيمة: البينُ خَيْرٌ من تماذٍ على أذى

البينُ خَيْرٌ

من تماذٍ على أذى

والموتُ خَيْرٌ من مقامٍ على الذلِّ

والد العروس: أَنْتِ السَّبَبُ فِي مَحْنَتِنَا يَا هَزِيلَةُ.. غَادِرِنَا.

والدة العروس: لَا أَحَدَ يُرِيدُكَ.. مَا مِنْ بَيْتٍ فِي جَدِيسٍ إِلَّا وَفِيهِ هَوَانٌ مِنْ عَمَلِيقٍ.. اخْرُجِي مِنْ قَبِيلَتِنَا.

الزرقاء: لَا تَظْلَمُوا بَعْضَكُمْ فِي الْحَزَنِ

هزيمة تُكَلِّي، وَقَلْبُهَا مَكْلُومٌ

(العروس وأهلها يخرجون من المسرح، والزرقاء تقود هزيلة وتمسح وجهها، وتسقيها الماء. فيدخل رياح بن مرّة في ثيابٍ مزركشة توحى بقربه من الملك عمليق، وفي يده خرج يحمل فيه هدايا لأخته من الرضاعة "الزرقاء").

رياح:

أختي الزرقاء سلاما

جِئْتُكَ بالهدايا والمتاع

لو نسيْتُ النَّاسَ كُلَّهُم

ما نسيْتُ أختي في الرِّضَاع

الزرقاء:

انصرف عَنِّي

أنتَ لعمليق، وأنا لأهلِ النَّيَاحِ

انصرف عني

كُنْ كاسْمِكَ، وانصرف يا رياح

رياح:

أخدمُ مَلِكًا أَكْرَمَنِي

أنا مِنْ طَسَمٍ يا زرقاء

الزرقاء:

وأنا من جديسٍ يا رياح

من مظالمِ الملكِ عمليق

رياح:

وحليبُ أمِّكِ الذي تقاسمناه؟

الزرقاء:

ضاعَ من دَهرٍ وجور

يومَ آثرتِ الظَّليم

رياح:

وداعاً يا أُختاه

(رياح يذهب غاضباً من الزرقاء، والزرقاء تنظر إليه بشفقة، تكاد تلحق به، لكنها لا تفعل).

الجوقة:

مِسْكِينَةُ زرقاء

في الليلةِ الكأداء

بَاتَتْ مُمَرَّقَةً

مَا بَيْنَ قَوْمِ أَخِيهَا

وَقَوْمِهَا الْأَعْدَاءُ

مِسْكِينَةٌ زُرْقَاءُ

تَأْسُو الْجِرَاحَ وَتَمْضِي

جَرِيحَةً بِكَمَاءٍ

مِسْكِينَةٌ زُرْقَاءُ

مِسْكِينَةٌ زُرْقَاءُ

(عفيرة وحبيبها نوفل إلى المسرح يمسك كل منهما بيد الآخر، وعفيرة
تهرع للزرقاء، وهي تبتسم، حتى تصلها):

عفيرة: زرقاء هل سَمِعْتَ بالخبر؟

زرقاء: أَخْبِرْنِي يَا عْفِيرَةُ. لَيْسَ لِي مِنْهُ أَثَرٌ

عفيرة: أَنَا وَنَوْفَلٌ أَشْرَقَتْ شَمْسُنَا

أَخِي الْأَسْوَدُ بَارَكَ عُرْسَنَا

الأسودُ فارسُنا وزعيمُ قبيلتنا زرقاء:

والفارسُ لا يؤذي الحبَّ ولا الأحبابَ

هزيلة: يؤذيه عمليق

(تقولها هزيلة بحزبٍ عظيم. أمّا نوفل وعفيرة فيغادران الزرقاء وهزيلة ويخرجون باتجاه كالوس المسرح، لكن عفيرة قبيل خروجها تردّ على هزيلة، وهي تبسم).

عفيرة: عمليق لا يقوى على أخي

عمليق لا يقوى على حبيبي

(الجوقة تغني من ضفة في مساحة المسرح الخلفية، فتلتفت إليها الزرقاء، حيث تستطيع سماعهم ورؤيتهم:

الجوقة: الويل للقبيلة

الويل للعشاق

أَيَّامٌ حُبْلَى

بَنَسَاءٍ تُسَبِّى

وَرَجَالٍ تُبْلَى

الْوَيْلُ الْوَيْلُ

ماذا تَرَيْنَ يا زرقاء؟

هزيلة:

أرى طَائِرًا برؤوسٍ كَثِيرَةً

الزرقاء:

كَأَنَّهَا سُيُوفٌ

أَجْنَحَتُهُ تَحْجُبُ الْقَمَرَ

لَعَلَّهُ الْخُسُوفُ

الفصل الثاني

المشهد الثاني

(يبدأ المسرح باحتفالية باهرة تمثل عُرس عفيرة ونوفل في مضارب قبيلة جديس، حيث يجتمع جميع أفراد القبيلة بثيابهم الملونة، ويندمج الرجال والنساء في أمنٍ ومسرّة، ونوفل وعروسه في المنتصف، وسط غنائية شعبية "سامري العارض" المشهورة في فولكلور نجد المعاصر. وتتقدم الزرقاء لتتوج عفيرة بعقدٍ من ورود الصحراء الجميلة والملونة، والرقص والاستعراض يسيطران على الحفل، حتى دخول جنود عمليق وجواريه لأخذ عفيرة كما جرت العادة، وعلى ما لم يتوقعه الأسود بن عَفَّار وقبيلته جديس، حيث ظنوا أنه لن يأخذ أخت زعيم القبيلة وفارسها.)

(تدخل كتيبة من جُند عمليق المدججين، وخلفهم ثلاث من الجواري كي يأخذوا العروس إلى عمليق، وسط دهشة جديس وخوفهم، حتى يأمر قائد الجند الجواري بأخذ عفيرة.)

قائد الجند:

اجْلِبْنَ العروسَ .. وتأْكَدْنَ من زِينَتِهَا

الأسود بن عفار:

وَيَلْكُمْ .. ماذا أنتم فاعلون؟

قائد الجند:

أوامرُ سَيِّدي عمليق . هل نَسِيتُمْ؟
أم أنّ هذه لَيْسَتْ عروسًا من جديس؟!

الأسود بن عفار:

بل هي سيدةُ العرائسِ .. هذه عَفِيرَةُ بنتِ
عَفَّار . أختي أيها الأحمق .

عمليقُ بنُ حَيَّاشٍ لا يُمكنُ أن يَفْعَلَ بي هذا .

قائد الجند:

بلُ الملكُ عمليقُ .. لا تَقُلْ اسمَهُ وكأنه
صِهْرُكَ . ثم إنه قد فَعَلَ .. فقد أَمَرْنَا بأن
نَجْلِبَ هذه العروسَ . حتى إنه أَنْشَدَ شعراً فيها .

(يبتسم الجندي وينظر إلى الجند والجواري كي يبدؤون الغناء .)

جوقة الجُند والجواري:

ابدي بعمليقِ وقُومي والعبي

وبادري الليلَ بأمرٍ مُعْجِبِ

فسوفَ تَلْقَيْنَ الذي لم تَطْلُبِي

وما لبكرِ دُونَهُ مِنْ مَهْرَبِ!

(نوفل يستل سيف أحد رجال جديس، ثم يقفز بين الجند وبين عفيرة، ويصرخ في الجُند. ثم يقوم بعض الرجال بنزع سيوفهم بعده، في حين تنتقل عفيرة مرعوبة من خلف أخيها إلى جوار زرقاء، والعكس.

نوفل: لأبيكم النار، فليأت لو استطاع.

قائد الجند: لدينا أوامر صارمة.. سنأخذ هذه العروس

معنا، وستعود إليكم بعد أن ينتهي سيدي منها.

نوفل: سيّدك الجبان ليس هنا، وعليك أن تعود إليه

قبل أن أقتلك، فتُخبره بأننا لن نقبل إهانة بعد اليوم.

قائد الجند: حسنًا. هل تعلمون ماذا سيحدث لو رفضتم

تسليمنا العروس الآن، وقاتلتمونا؟ سأخبركم.. سنقتل منكم ما

استطعنا هنا. وطسم ستعلم كيف تأخرنا، وسيأتي الجيش كله في

الصباح، ويُنفذ قسم عملي فيكم، بأن تُباد جديس بأكملها.. تُباد

رجالها والنساء. وأنتم تعرفون أنه يبر قسمه، اسألوا نساءكم.

(يخيم الصمت على جديس بعد هذا الكلام، ثم يظهر الخوف على

أغلب الموجودين، حيث يتراجع بعض الرجال، ويُعيد آخرون سيوفهم

إلى أعمادها، ويبدأ في الهروب رويدًا رويدًا كل من أفراد فرقة السامري

التي كانت تُغني، وكذلك شخصيات قبيلة جديس الهامشية التي

حضرت العرس، ويتمتم بعض الرجال والنساء بالكلمات الآتية، وهم خارجون:

نساء ورجال العرس: "يُبيدُ القبيلة؟" / "يُبيدُ القبيلة بأكملها؟" /
"الرجال والنساء؟" / "يا له من ظالمٍ" / "هل سَيقتلونَ الأطفال؟" / "يُبيدُ
القبيلة بأكملها؟" / "إبادة!".

الزرقاء: يا ويلَ قلبي يا صغيرة

يا ويلَ قلبي يا عفيرة

يا ويلَ قلبي يا صغيرة

(الجواري يسحبين عفيرة بالقوة، وهي تتادي الأسود ونوفل والزرقاء،
وتحاول التشبث بأخيها المكسور والواقع بين نار أخته ونار إبادة
قبيلته. أما نوفل فيصرخ بكل ما أوتي محاولاً تخليصها منهم، لكنّ
رجالاً من قبيلته جديس يسحبونه في الجهة الأخرى في محاولة لإنقاذ
أنفسهم من قَسَمِ عمليق. لتمضي عفيرة بين الجواري والجند حتى
تختفي في كالوس المسرح البعيد، والزرقاء تواصل غناءها متجهةً إلى
الطرف الآخر من المسرح، حيث يخيم الظلام على أرجاء المسرح
تماماً، وتبقى هي والجوقة في بقعة ضوء طرفية.

زرقاء: يا ويلَ قلبي يا عفيرة

يا ويلَ قلبي يا صغيرة

(يرافق الغناء الذي سيأتي بين الجوقة وزرقاء حول العشاق والحزن،
مشهدية تعبيرية تحت إضاءة خاصة في مقدمة المسرح، تقدمها
مجموعة حزينة من العرائس والعrsan، حيث يحاولون بلوغ بعضهم
فلا يقدرّون. يمنعهم من الاجتماع والسعادة شيء ما. فكأنها سيرة لكل
العاشقات والعشاق من قبيلة جديس، الذين شوّه عمليق محبتهم، وبث
الخراب في أحلامهم.

الجوقة: وَلَّتْ الْأَحْلَامُ يَا لَيْلَ الْبُكَاءِ

وغدا الإصباحُ ليلاً حالِكا

ومضى العشاقُ يَنْعَوْنَ الهوى

طالَ في ليلِ الجِراحِ المُشْتَكى

الزرقاء: آه يا جُرْحَ السِّنِينَ

يا أَسَى العُمَرِ الحزينِ

آه يا نَرْفَأَ أَلِيمًا

في قلوبِ العاشِقِينَ

الجوقة:

انْقَضَى الحُلْمُ وَوَلَّى

وغدا العاشقُ طِفْلاً

في دُرُوبِ العِشْقِ يَمْضِي

قَدْ غدا للحزنِ أهلاً

الزرقاء:

أه يا جُرْحَ السِّنِينَ

يا أَسَى العُمُرِ الحَزِينِ

أه يا نَزْفاً أليماً

في قلوبِ العاشِقِينَ

الفصل الثاني

المشهد الثالث

(من المنطقة المظلمة التي خرجت منها عفيرة مع الجنود إلى عمليق، تدخل وهي كسيرة ممزقة الملابس، باكية، لا تقوى على المسير بشكل طبيعي، لكنها تغني لأهلها بكل انكسار في إظلام تام بالمرح إلا من متتبع إضاءة يلحقها.)

عفيرة: أَيْحْمَلُ مَا يُؤْتَى إِلَى فِتْيَاتِكُمْ

وَأَنْتُمْ رِجَالٌ فَيْكُمُ عَدْدُ النَّمْلِ^(١)

(لما تصل عفيرة للمنتصف، تنتشر الإضاءة في المسرح، على قبيلتها جديس. فيكون أول من يراها منهم هزيلة، التي تصرخ بنشيدها في أرجاء المكان.)

^١ ورد هذا البيت في العديد من كتب التراث على لسان الشخصية "عفيرة".

هزيلة:

آه يا ذُلَّ جَدِيسٍ

آه يا قَوْمَ الْعَرُوسِ

أَيَّ عَارٍ قَدْ رَضِيتُمْ

طَمَرَ الْوَحْلُ الرُّؤُوسَ

(يهرع كل من في القبيلة على صراخ هزيلة، ويلتفون حول عفيرة، وفي مقدمتهم نوفل الذي يبرك باكياً ومخدولاً بعد أن يراها بتلك الصورة. ولما يصل الأسود بن عفار، ومعه الزرقاء، وترى عفيرة أخاها، تبدأ نشيدها بكل حزن.

عفيرة:

أُحْمَلُ مَا يُؤْتَى إِلَى فِتْيَاتِكُمْ

وَأَنْتُمْ رِجَالٌ فَيْكُمْ عَدْدُ النَّمْلِ

وَتَصْبَحُ تَمْشِي فِي الرَّغَامِ عَفِيرَةٌ

عَفِيرَةٌ زُفَّتْ فِي النِّسَاءِ إِلَى بَعْلِ

وَلَوْ أَنَّ كُنَّا رِجَالًا وَكُنْتُمْ

نِسَاءً لَكُنَّا لَا نَقْرُ بِذَا الْفَعْلِ^(٢)

^٢ وردت هذه الأبيات في العديد من كتب التراث على لسان الشخصية "عفيرة".

(الأسود بن عفار يثور ويهيج ويصرخ في أرجاء القبيلة جيئةً وذهاباً، في الوقت الذي كانت فيه عفيرة تغني، وهو يردد في المسافة بين نشيدها صارخاً: "واا ذلاه" / "واا ذلاه". وبعد أن تنتهي عفيرة من الغناء، تسقط على الأرض مغشية، فتتلقفها الزرقاء مواسيةً، ويبدأ الأسود بن عفّار بالغناء.)

الأسود بن عفار: فَلَلْبَيْنُ خَيْرٌ مِنْ تَمَادٍ عَلَى أَدَى
وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ مُقَامٍ عَلَى الدُّلِّ

نوفل: يا لثاراتِ جديس.

(قبيلة جديس كلها تردد خلف نوفل: "يا لثاراتِ جديس".)

الأسود بن عفار: فَمُوتُوا كِرَاماً أَوْ أَمِيتُوا عَدُوَّكُمْ
وَدَبُّوا لِنَارِ الْحَرْبِ بِالْحَطَبِ الْجَزْلِ

نوفل: مُرْنَا يَا أَسْوَدُ، قَدْ اسْتَوَى الْحَيُّ وَالْمَيِّتُ، مُرْنَا فَنَكُونُ.

الأسود بن عفار: أَلَمْ يَكُنْ يَرِيدُ إِبَادَتَنَا؟

قبيلة جديس: "نعم" / "بلى" / "فَعَلْ" / "نعم".

الأسود بن عفار: فاسمعوا يا جديس.. سندعو عملياً وجميع
فرسانه وخاصته.. سنؤلم له، ونُخبره بأننا خاضعون لطاعته في كل
ما يأمر، وبأننا نعد له عظيم الهدايا، وبِئَض النوايا، فلما يكونون هنا،
بين أيدينا، وعلى مائدة الطَّعام والشراب، سيأتي الخبر اليقين.

(رجال القبيلة كلهم يصرخون للأسود، معلنين حماسهم لثأرهم،
وموافقتهم على ما يقول، وهم يرددون: "يا لثارات جديس". في حين
تترك الزرقاء يدَ عفيرة التي كانت تواسيها، وتتجه نحو الأسود.)

الزرقاء: أتريدُ حقاً أن تفعل هذا؟

إنَّهم أهلكم، أبناء عمومتكم. وذلك ظالم واحد.

الأسود بن عفار: كُفّي عني يا زرقاء. قَطِّعوا كلَّ رَحِمٍ وَرَحْمَةٍ،
يومَ رَضُوا علينا الهوانَ، وصاروا جيشاً لابنِ حياش.

(يغادر الأسود من عند الزرقاء خارج المسرح، ونوفل يذهب لزوجته،
فيساعدها ويخرج بها، والزرقاء تغادر مكسورة صوب الخلفية في
العمق حتى إذا وصلت هزيلة نظرت إليها، وتابعت طريقها، لتبدأ

هزيلة برفع صوتها من خلال أدائية تأوه -بلا كلمات- بحيث يتقاطع صوتها مع الموسيقى ليعطي انطباعًا تراجيديًا بين الخوف والحزن. وعلى وقع هذا الأداء يتحدث من تبقى من رجال ونساء قبيلة جديس مع بعضهم في أكثر من موقع بمضاربهم على المسرح، لتدخل عليهم الجوقة من كالوس المسرح، باتجاه الكالوس الآخر، دون غناء، وكلما مشت الجوقة انطفأت الإضاءة خلفها على المسرح، ليعتم المسرح بعدهم وبشكل متتابع، حتى إذا ما دخلوا الكالوس الأخير يُظلم المسرح بالكامل على الجميع، وكأن هذا شكل الإبادة وشكل والفناء الي تعرفه الجوقة جيدًا).

الفصل الثاني

المشهد الرابع

(تظهر الزرقاء من سحابة ضبابية على المسرح، وتبدأ بالغناء وهي تتقدم، في حين تخرج فرق من الجوقة من سحابات في عمق المسرح وأطرافه، حتى تجتمع كلها ككتلة واحدة أمام الزرقاء التي أنهت أول مقطع غنائي، فتزد عليها الجوقة، ويستمر الحوار بينهما في غنائية تصف خطأ جديس الكبير، وقرارهم الظالم في إبادة قبيلة طسم بجزيرة الملك عمليق، وكذلك مآل الحروب والظليمة، والتننبؤ بالفناء والإبادة.)

رأيتُ ذاتَ منامٍ

الزرقاء :

قومًا من العُربِ سادوا

لكنَّهُم بعد دَهْرٍ
بِصَفْحَةِ الْأَرْضِ مَادُوا

الجوقة:

يَوْمَ النَّقْوِ بِسِوْفٍ
طَغَى عَلَيْهَا الْعِنَادُ
وَمَزَّقُوا كُلَّ رَحْمٍ
فَمَزَّقُوا ثَم بَادُوا

الزرقاء:

يَا وَيْلَتَا لَيْتَ قَوْمِي
إِلَى الْمَوَاقِيقِ هَادُوا
إِلَى عَهْدِ جَوَارٍ
أَحْيَا رُبَاهَا الْوِدَادُ

الجوقة:

لكنَّهُم ضَيَّعُوهَا
وَدَبَّ فِيهَا الْفَسَادُ

(هنا تكون الزرقاء في مقدمة المسرح، وجهها للأمام والجوقة خلفها، وتبقى لها جملة غنائية أخيرة، وفي هذا الوقت ستتكشف الإضاءة على عموم المسرح، رويدًا رويدًا، فتظهر مضارب جديس، وأفراد القبيلة يتحركون ويعيشون كمن يستعد لاستقبال ملك.)

الزرقاء: وَمَزَّقُوا كُلَّ رَحْمٍ

فَمَزَّقُوا ثُمَّ بَادُوا

وَمَزَّقُوا كُلَّ رَحْمٍ

فَمَزَّقُوا ثُمَّ بَادُوا

(تلتفت الزرقاء للجوقة بعد توقفها عن الغناء، وتبدأ الحديث معهم، غير عابئة بوجود أفراد قبيلتها الذين لا يستطيعون رؤية الجوقة ولا سماعها. أما الجوقة، فسيرد منهم ثلاثة أشخاص على الزرقاء. كل واحد منهم سيقول جملة ليتكلم المعنى، وكأنهم شخص واحد.)

الزرقاء: أَيُّهَا الْبَائِدُونَ. صدقتم.

كأني أرى ما قُلتُم لي. ديارٌ خواءٌ وموتٌ كثيرٌ.

الجوقة: لم نقل لك شيئاً يا زرقاء. / لا يزال أمامك الكثير. /
عينك الكحيلة سترى العجائب. / وعينك البصيرة كذلك.

(يخرج من المسرح بعض أفراد قبيلة جديس الذي كانوا بالقرب من
الزرقاء على الخشبة، وهم متعجبون من الزرقاء، وطريقة كلامهما
الآخر مع نفسها، ويردد كل منهم للآخر بعض الجمل التالية.)

أفراد قبيلة جديس: "ماذا بالزرقاء؟" / "كأنها محمومة" / "يبدو أنها
لم تعد ترى البعيد، وصارت تسمع ما لا نسمع" / "أي منام رأيت
الزرقاء؟".

(أما ما تبقى من القبيلة على المسرح، فيهرولون في الاتجاه الآخر
وهم يصرخون للحرب، وللاستعداد لدعوة عمليق وإبادة طسم، وهم
يرددون الجمل التالية، مع بعض القهقهات.)

أفراد قبيلة جديس: "حدّوا أسنّكم" / "يا لثارات جديس" / "حضّروا
الولائم والأشربة" / "ضعوا السيوف تحت الرّمال" / "يجب أن نكون
حذرين" / "ستكون وليمة ملكيّة".

(يبدأ فجأة صوت الطبل الرجوج - طبل الحرب الشهير قديماً -،
يستمر قليلاً، فتصاب الزرقاء بالفرع، تتحرك يمناً ويسرة، وتمسك
رأسها وتضع يديها على أذنيها، حتى تأتي في وسط الجوقة، فتقف،
وتبدأ غنائية حوارية بينها وبينهم حول صوت الحرب.)

الجوقة:

أَيُّ صَوْتٍ ذَاكَ يَا زَرْقَاءَ

أَيُّ هَوْلِ أَيُّ رُعْبٍ يَطْرُقُ الْأَنْحَاءَ

الزرقاء:

لَيْسَ صَوْتُ الشَّيْخِ أَوْ صَوْتُ الرَّغَاءِ!

لَيْسَ صَوْتُ الْخَيْلِ أَوْ صَوْتُ الرَّعَاءِ

الجوقة:

أَيُّ صَوْتٍ خَبَّرِنَا

اصْدُقِينَا الْقَوْلَ يَا زَرْقَاءَ؟

الزرقاء:

لَيْسَ صَوْتُ الْعَشْقِ أَوْ صَوْتُ الرَّجَاءِ

لَيْسَ صَوْتُ الْحَلَمِ أَوْ صَوْتُ الْغَنَاءِ

الجوقة:

أَيُّ صَوْتٍ خَبَّرِنَا

مَا الَّذِي فِي الْأَفْقِ يَا زَرْقَاءَ

الزرقاء:

صوتُ مَوْتٍ عارِمٍ صوتُ فَنَاءٍ

صوتُ ظُلْمٍ غاشِمٍ صوتُ بَلَاءٍ

الجوقة:

قد طغى بالأمسِ عمليقٌ فأغرى

بِدِما طسمٍ جديساً فتمادوا في القضاءِ

الزرقاء:

وغداً لا طسمَ تَبْقَى.. لا جديسَ

فَكِلا الحَيَّينِ سارُوا للفناءِ

الجوقة:

وغداً لا طسمَ تَبْقَى.. لا جديسَ

فَكِلا الحَيَّينِ سارُوا للفناءِ

الفصل الثالث

المشهد الأول

(تُفتح الإضاءة على المسرح، في مضارب جديس، وعلى وقع موسيقى الأوركسترا الموحية بالاحتفالية الملكية. حيث يدخل الملك عمليق، وخلفه وجهاء وقادة وفرسان طسم، ويبدأ الأسود ومن معه من جديس باستقباله استقبالا مهيبا وهم يتذللون له، ويرمون في طريقه الزهور وينثرون الماء، ويقدمون ألعابا بهلوانية، ورقصات في كل جنبات المسرح، وهكذا حتى يجلسونه على رأس المأدبة التي أعدت له ولقبيلته طسم، وتقف خلفه جاريتان، وحارسان، وعلى يمينه وشماله عدد كبير من قبيلة طسم، ومنهم رياح بن مرة الذي يجلس في مكان واضح. ويجلس الأسود بن عفار قريبا من الملك وليس إلى جانبه، حيث يرحّب به مرارا ويُظهر له الاحتفاء كلما نظر إليه. وبينما هم

هكذا، تخفت الموسيقى مع إنهاء عمليق كأسه الأول الذي في يده،
فتمرّ هزيلة مع النساء اللاتي يجلبن طعاماً وشراباً للمأدبة، فيراها،
ويسأل عنها.)

عمليق: أليست هذه هزيلة. تلك المرأة التي لم ترض
بِحُكمي، وقالت عني ظالمٌ عند كلِّ العرب؟

الأسود بن عفّار: نعم.. هذه هزيلة.

هزيلة: كيف ولدي يا سيدي؟

عمليق: مات.. لا يخلُفك شيءٌ أيتها الشَّقِيّة.

(تنفجع هزيلة دون بكاء، تتسمّر في مكانها قليلاً، ثم تسحبها إحدى
النساء، فتذهب إلى طرف المسرح البعيد، وتبقى ثابتة دون حراك
طوال المشهد. أما الملك عمليق، فيهرّ كأسه كي يُملاً، وتُقبل عليه
إحدى الجواري لتسكب له الشراب، فيرفض، ويأمر الأسود بشكل
مهين. لكنه يلاحظ قوة الشراب واختلافه.)

عمليق: قُمْ أنت.. صُبّ لي يا أسود.

(يقوم الأسود، فيأخذ الآنبة من الجارية، ويصب لعمليق).

عمليق: خمرتم هذه قويّة وغريبة.

الأسود بن عفّار: لو راقّت لعمليق. بعثناها لقصره كل ليلة.

عمليق:

نعم. مثل عرائسكم.

سنرى أمر الخمرة فيما بعد. الآن، أريد منك شيئاً آخر.

الأسود بن عقّار: ما يأمر الملك؟

عمليق:

أختك. هاتِ أختك هنا، بجانبني.

(الأسود يصمت برهة محدقاً في عمليق، ثم يوافق مبتسماً فلا يبدي الشعور بالإهانة. ويأمر أحد الواقفين -بعيداً- من قبيلته جديس أن يأتي بها. فيذهب، وسط صمت كلي لا يتخلله إلا شرب عمليق وصوت كؤوسه ومن معه. وأثناء دخول عفيرة، عمليق ينظر إليها ثم يضحك عاليًا، ويتحدث عنها مع خاصته، ويشير إليها وهي تتقدم إليه بثياب عرسها المتشقة -ذات الثياب- والأسود لا يزال عند رأسه.)

عمليق:

من بين نساء جديس، عفيرة هذه فرسٌ.. كأنها فرسٌ.. إنها غايةٌ في الجمال.. لكنّها أيضًا متوحشةٌ.

قائد الجند:

أليست هذه غاية الغايات، يا سيدي؟

عمليق:

بلى. بلى أيها اللعين.

(يضحك عمليق بعد كلامه، ويضحك معه قومه. وبينما هو رافع كأسه، حتى وصلت عفيرة عنده، فلما شاهدها على رأسه بثوب العرس إياه، توقف عن الضحك والتبسّم، وارتبك قليلاً ثم صمت تماماً. لتحدثه عفيرة لحظتها بنبرة المظلوم الثائر.)

عفيرة: عمليق بن حيّاش، بالأمس ترى العروس،
واليوم ترى النحوس.

عليك به يا بن أُمي، إخلطُ كأسَ الخسيسِ بدمه.

(يقوم الأسود فيشهر سيفه ويقتل عمليق على الفور، ويقتل نوفل قائد الجند الذي أخذ عفيرة، وكان بجانب عمليق. وكذلك فعل فرسان جديس الذي قاموا من المأدبة وأخرجوا سيوفهم وأجهز كل واحدٍ على من كان بجانبه من طسم. إلا أنّ رياح بن مرة حاول الفرار، ولمّا اقترب منه أحدهم ليقّتلَه، صرخت فيه عفيرة أن يتركه، حيث كانت قريبة منه لحظة الهجوم عليه.)

عفيرة: لا.. لا. إنه أخو الزرقاء.. اعتّقوه من أجلها.

(تتركه جديس، ويستطيع رياح أن يهرب وينجو، ويغادر عبر كالوس المسرح الجانبي، في حين تستمر إبادة الجميع من طسم، ثم يُنشد الأسود بعد أن حققوا ثأرهم، وهو ينظر إلى أخته تارة، وينظر إلى

جثث طسم تارة أخرى، حيث سقطت جثث كثيرة، وبعضها لا يزال
يطارد من جديس ويقتل أثناء الغناء.)

الأسود بن عفار: يا ليلة ما ليلة العروس
جاءت تمشي بدم جميس
يا طسم ما لاقيت من جديس
إحدى لياليك فهيس هيس

(علامات الاحتفال بالنصر والتأثر تضجّ بالمرح بعد غناء الأسود.
فيردد أفراد قبيلة جديس جملته الأخيرة بكل نشوة وقوة: "هيس هيس".
هيس هيس". لتخبو أصواتهم بالتزامن مع خفوت إضاءة المسرح شيئاً
فشيئاً.)

الفصل الثالث

المشهد الثاني

(تحت بقعة ضوء ساطعة، تظهر هزيلة الوحيدة في العراء البعيد، في مقدمة المسرح التي كانت فيها سابقًا وقت المعركة، وهي تتخيل ولدها يجري من حولها، فتناغيه، وتتأديه بحنانٍ طاعٍ، تتحدث معه، فيمر كطيف أمامها مرة أو مرتين - يمر الطفل أمام هزيلة بلباسٍ أبيضٍ ومكياجٍ أبيض في إشارة لغيابه الأبدي -، حتى تتحول بعد اختفائه الأخير الذي لا يظهر بعده، إلى حالة مرتبكة بين الضحك والصراخ إلى البكاء ثم الانهيار الأخير التي تجثو بعده بشكل مأساوي. عقب ذلك تأتي كلّ نساء القبيلة ومعهم الزرقاء وعفيرة من جهات الظلام، وكذلك النساء من جوقة العرب البائدة، فيتحلّقن خلفها، بوجوهٍ مكسورة حزينة، ويغنين بلحن حزين يتسق مع المعاناة، ولا بأس -من باب التجريب والتجديد- لو رأى المؤلف الموسيقي والمخرج، أن يكون المقطع على لحن السامري القديم، أو لحن حزينٍ آخرٍ من ألحان فلكلور وسط الجزيرة العربية.)

نساء جديس:

آه يا جُرْحَ السِّنِينَ

يا أَسَى العُمَرِ الحزين

آه يا نَزْفًا أَلِيمًا

في قلوبِ الأمهات

آه يا جُرْحَ السِّنِينَ

يا أَسَى العُمَرِ الحزين

آه يا نَزْفًا أَلِيمًا

في قلوبِ الأمهات

الفصل الرابع

المشهد الأول

(في فضاءٍ مسرحي مختلف، يمثّل سوقاً مزدحمة بالناس، فيظهر ضجيج الباعة والمتسوقين والعابرين، الذين يختبئ بينهم رياح بن مرة، بملابسه ذاتها التي ظهر بها في مشهد قتل عمليق، لكنها تبدو بالية مغبرة من السفر والترحال في البوادي والصحاري.

ويدخل الملك تبّع حسان السوق ممسكاً بعصاه التي يتوكأ عليها زينةً وليس كهولة، وخلفه موكب صغير، فيصمت الناس فجأة، ثم يضجّون، ويرحبون به غناءً، ويفسحون لموكبه الطريق.)

أهل السوق: مولانا الملك المقدام

سيدنا التّبّع حسان

يخمي موكبه الفُرسان

يخرُس دَوْلته جيشان

التّبّع حسان: مَرَحَى بِرَعِيَّتِنَا مَرَحَى

أهل السوق:

سيدنا التَّبَعُ حَسَّان

وزير التَّبَع:

سيدنا التَّبَعُ حَسَّان

سَيُبَدِّلُ ظُلْمَكُمْ عَذْلًا

وَيُبَدِّلُ حُزْنَكُمْ فَرْحًا

أهل السوق:

سيدنا التَّبَعُ حَسَّان

التَّبَعُ حَسَّان:

مَرْحَى بِرَعِيَّتِنَا مَرْحَى

مَنْ عَانَى مِنْكُمْ مَظْلَمَةً

أَوْ ضَائِقَةً أَوْ نَازِلَةً

فَلْيَعْرِضْهَا بَيْنَ يَدَيْنَا

وَسَنَطْرَحُهَا عَنْهُ طَرْحًا

(يصمت الجميع، فلا يردون خوفاً. فيأمرهم وزير التبع بغضب.
فيردون بعدم الحاجة بخوف شديد.)

وزير التبع: رُدُّوا على مولاكم
أهل السوق: في ظل التبع لا نحتاج

لا نحتاجُ.. لا نحتاج

وزير التبع: بوركتم.. فافسحوا.

(يمضي التبع في السوق، وأهل السوق يتفرقون من أمامه بعيداً من
الخوف. ولما يتقدم قليلاً ويغادر مكانه الأول ببضعة خطوات، يُنشد
رياح بن مرة، وهو غائب بين الناس.)

رياح بن مرة: حاجتي عند تبع.

(يلتفت التبع ومن معه إلى مصدر الصوت، فلا يخرج أحداً. ولا
يتحرك أحد. فيضرب التبع بعصاه على الأرض. فيسأل وزيره
غاضباً.)

وزير التبع: من يُنادي موكب الملك؟

رياح بن مرة: حاجتي عند تبع.

(ينتبه التبع إلى موقع رياح بين مجموعة من أهل السوق، فيفرون جميعهم من جانبه ويظل وحيداً. ويتقدم بعدها خطوتين اتجاه التبع.)

رياح بن مرّة: إِنِّي بِبَابِكَ سَيِّدِي وَلَدَى حِمَاكَ

التبع حسان: حَمِينَاكَ. قَدْ وَصَلْتُ.

رياح بن مرّة: إِنِّي بِبَابِكَ سَيِّدِي وَلَدَى حِمَاكَ

مَوْلَايَ جِئْتُكَ لَيْسَ يُنْصِفُنِي سِوَاكَ

فَبِمَنْ سِوَاكَ نَلُودُ يَا حَامِيَ الْحِمَى

مَنْ نَسْتَجِيرُ بِهِ إِذَا طَمَّ الْبَلَاءُ سَلِمْتَ يَدَاكَ

وزير التبع: مَا مِنْ مُجِيرٍ غَيْرِ مَوْلَانَا يَلُودُ بِهِ الْبَعِيدُ

أهل السوق: مَا مِنْ مُغِيثٍ غَيْرِ تُبْعِنَا يَلُودُ بِهِ الْقَرِيبُ

وزير التبع:

أَقْبِلْ فَمَوْلَانَا مُجِيبٌ لَا تَخَفْ

مَنْ أَنْتَ يَا هَذَا الْغَرِيبُ؟

رياح بن مرّة:

اسمي رياح. رياحُ بنُ مرّة. وَحْدِي الْمُتَبَقِّي

مِنْ قَبِيلَةِ طُسَم.

التبع حسان:

وَحَدَّكَ الْمُتَبَقِّي؟! فَأَيْنَ عَدَتْ قَبِيلَتُكُمْ؟

رياح بن مرّة:

أَجِبْنِي يَا سَيِّدِي.

التبع حسان:

وَيَحُّكَ. أَجِيبُكَ إِلَى مَاذَا؟

رياح بن مرّة:

أَجِبْنِي إِلَى قَوْمٍ دَعَوْنَا لِغَدْرِهِمْ

إِلَى قَتْلِهِمْ فِيهَا عَلَيْهِمْ لَكَ الْعُدْرُ

فإِنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِيَوْمٍ وَلَنْ تَرَى

كَيَوْمٍ أَبَادَ الْحَيَّ طُسَمًا بِهِ الْمَكْرُ

التبع حسان:

أَيَّ حَيٍّ أَبَادَ طُسَمٌ يَا فَتَى؟ مَنْ بِكُمْ؟

رياح بن مرّة:

جَدِيسٌ.. جَدِيسٌ أَيُّهَا التَّبَعُ حَسَّانَ.

وزير التبع:

لماذا أخذوكم أيها الغريب؟

رياح بن مرة: أخذونا كُلّنا في عمليق بن حيّاش.

(يصمت المسرح قليلاً، حتى يتحدث التّبّع الذي كان يفكر في الأمر.)

التّبّع حسان: كم بيننا وبين القوم؟

رياح بن مرة: ثلاث، أو أربع من الليالي أيها الملك.

وزير التّبّع: كذبت. بيننا وبين أرضهم يا سيدي مسيرة عشرون أو أكثر.

(ينظر التّبّع بشكل مخيف لرياح، فيتحرك رياح سريعاً وهو يتحدث، ويخرج الفسيلة من خلف السوق، ويأتي بها للملك.)

رياح بن مرة: لا أكذب يا سيدي. ولدي ما يثبت قلبي.
لقد جابت معي فسيلة من اليمامة. وها هي خضراء كما ترى. فلو مشيت فترة طويلة ليبست.

(يلمس الملك الفسيلة برؤوس أصابعه. كمن يتأكد. ثم يبادره رياح بالكلام.)

رياح بن مرة: ثم إني معي كلبة عرجاء. مقصوفة الرجل.
جاءت معي ولم أحملها فرسحاً واحداً. فكيف تحمّلت لو لم تكن المسافة قريبة، أيها الملك المُهاب؟

(يسود الصمت على المسرح. وتضرب موسيقى مدوية تستمر قليلاً أثناء تفكير التَّبَع وتقليبه لخاتمه، وتحركه إلى أمام المسرح وحيداً دون أن يلحقه أحد، حيث تخفت الموسيقى رويداً رويداً، حتى ينطق بجملته الأولى، وهو رافع سبابته لأعلى، وبوجه عابسٍ وصارم.)

التَّبَع حَسَّان: أدنْتُ جديساً.

(يبدأ صوت الطبل الرجوج من بعيدٍ، لكن بشكل واضح ومسموع، ويقترب الصوت ويعلو، مما يجعل أهل السوق والجنود يتلفتون برهبة صوب الصوت، فينظرون لخلفية المسرح كلهم مع كل ضربة طبل، إلا الوزير ورياح بن مرة، يظلان ينظران صوب الملك. ورياح تعلو وجهه البسمة. ويواصل التَّبَع ما تبقى من حكمه، ولكن غناءً هذه المرة. فيكرر بعده أهل السوق وجنود الموكب آخر غناء التَّبَع.)

التَّبَع حَسَّان: أدنْتُ جديساً دَيْنَ طَسَمٍ بفعلِها

ولم أكُ لولا فِعْلِها ذاك أفعلا

نقولُ خُذِها يا جديسُ بأختِها

وأنتِ لَعَمري كنتِ في الظلمِ أولاً

أهل السوق، وموكب التَّبَع:

نقولُ خُذِهَا يَا جَدِيسُ بِأَخْتِهَا
وَأَنْتِ لَعَمْرِي كُنْتَ فِي الظَّلمِ أَوَّلًا

وزير التَّبَع: قد حكم مولانا الملك التَّبَع.

التَّبَع حَسَّان: نَقْضِي حَاجَتَكَ يَا رِيَّاحُ. وَنُبَيِّدُ مَنْ أَبَادَكُمْ.
وهذا وزيري وقائدُ جَيْشِي يَسِيرُ مَعَكَ حَتَّى جَدِيسَ.

رياح بن مرّة: مولاي.. ما خَابَ ما استجار بك. هنالك أمر
أخير أريدك أن تعرفه.

(التَّبَع حَسَّان دون أن يتكلم يأذن بيده كي يتحدث رياح.)

رياح بن مرّة: في جَدِيسٍ أَخْتُ لِي.. لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ
أَبْصَرَ مِنْهَا، تُسَمَّى الزَّرْقَاءُ. إِنَّهَا لَتُبْصِرُ الرَّاكِبَ مِنْ مَسِيرَةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ.
وَأَنَا أَخَافُ أَنْ تُنْذِرَ الْقَوْمَ، فَمُرْ جَيْشَكَ لِيَقْلَعَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ شَجَرَةً
فَيَجْعَلَهَا أَمَامَهُ، وَيَسِيرُ وَهِيَ فِي يَدِهِ.

التَّبَع حَسَّان: أَهِيَ كَمَا تَقُولُ؟

رياح بن مرّة: بلى يا مولاي، وأسألك أن تُنَجِّيهَا، فهي من أنقذتني.

(يبتعد التبع من أمام رياح، ويهم بالخروج، حتى إذا أتى وزيره في طريقه أسرّ له سرّاً وأمرًا. ومضى للكالوس وخلفه موكبه. ثم تخفت الإضاءة، حتى يظلم المسرح، وتبقى فقط إضاءة مركزة على الجوقة في طرف المسرح البعيد، وهم ينشدون.)

الجوقة: ألا أيّها الدهرُ كيفَ انتهينا؟

وصرنا من الناسِ في البائدين

ديارٍ خواءٍ وموتٍ كثير

ونُسقي الندامةَ دمعَ الحنين

الفصل الرابع

المشهد الثاني

(تسطع الإضاءة على المسرح بوصفه مضارب قبيلة جديس التي لا تزال تحتفل بانتصارها على طسم، حيث يشربون الخمرة، ويأكلون ويرقصون، وهزيمة بينهم قد أصبحت مجنونة تماماً، وهم يغنون.)

قبيلة جديس: يا طَسْمُ ما لَأَقَيْتِ مِنْ جَدَيْسِ

إِحدى لَيَالِيكِ فَهَيْسِ هَيْسِ

(تدخل الزرقاء من الكالوس، وهي تهرول ومفجوعة. حتى إذا وصلت صاحت في الناس، فيجتمعون حولها ويسألونها بأصوات متعددة: "ما بك يا زرقاء؟"، "أبيت اللعن ما ورائك؟"، "أخبرينا يا زرقاء؟"، "ما بالها زرقاء اليمامة؟"..*إلخ.* ولما تقف بينهم تبدأ بالغناء عالياً.)

الزرقاء: خُذُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ يا قومُ يَنْفَعُكُمْ

فليس ما قد أرى بالأمر يُحتَقَرُ

إني أرى شجراً من خَلْفِها بشرٌ

لأمرٍ اجتمعَ الأقوامُ والشَّجَرُ^(٣)

(يظهر الأسود بن عفار من خلف الجموع المنتاثرة حول الزرقاء، وهو يغني. فلما يبدأ الغناء بينهم، يبدو على الناس تصديق الأسود، والابتعاد عن الزرقاء رويداً رويداً. والانتشار في المسرح.)

الأسود بن عَفَّار: دَعي الأوهامَ عَنكَ ولا تَزِيدِي

كَأَنَّكَ خَفَّ عَقْلُكَ يا زُرَيْقا

دَعي الأشجارَ تَمْشِي واتركينا

كؤوسُ النَّصْرِ تُفَرِّغُ يا زُرَيْقا

(يبدأ بعض الضحك من الناس على تهويل الزرقاء. وكذلك بعض الرجال الذي يشربون وهم يستمعون للزرقاء والأسود، فتقوم جارية بتعبأة كؤوس بعضهم. ومنهم نوفل الذي ينضم للحوار بدوره ويقف في صف الأسود. أما الزرقاء فتكرر تحذيرها بالحاح.)

الزرقاء: خذوا خذوا حذرکم يا قوم ينفعکم

^٣ هذه الأبيات وردت في العديد من كتب التراث على لسان زرقاء اليمامة.

فليس ما قد أرى بالأمر يُحتَقَرُ
ضمّوا طوائفكم من قبل داهية
من الأمور التي تخشى وتنتظر^(٤)

نوفل: لا شيء يُخشى أبداً ندنا الخطر
زرقاء طسم مَضوا لا خَصَمَ نخشاهُ
عمليقُ والقومُ باتُوا قصةً غَبَرَتْ
وغابِرُ القومِ إنا قد نَسِينَاهُ

الزرقاء: إني أرى شجراً من خلفها بشرٌ
لأمرٍ اجتمعَ الأقوامُ والشَّجَرُ^(٥)

نوفل: اليومَ نَرْقُصُ للنصرِ الذي رُفِعَتْ
رايأتهُ بعد دهرٍ يومَ شِنْنَاهُ

^٤ هذه الأبيات وردت في العديد من كتب التراث على لسان زرقاء اليمامة.
^٥ نفسه.

(الأسود وبقية قبيلة جديس يحييون نوفل على ما قال، ويبدؤون
ترديد آخر بيت أنشده، ويغادرون الزرقاء في الاتجاه الآخر،
ويواصلون احتفالهم، في الوقت الذي تأتي هزيلة إلى الزرقاء
التي لا تزال مرعوبة من إهمال قومها لتحذيرها، فتمسك هزيلة
ثوب الزرقاء وتتحدث معها بيأس يخالطه الجنون.)

هزيلة: دعيهم يا زرقاء. قد قُدرت لنا جميعًا.

الزرقاء: إنه الفناء يا هزيلة. الفناء!

هزيلة: حيًا به. أريدُ اللحاقَ بولدي.

(على وقع موسيقى وترية حزينة، الزرقاء تأخذ بيد هزيلة وتبتعد
إلى طرف المسرح البعيد، عند المكان الذي ستتواجد فيه الجوقة
لاحقًا. حيث يظلم المسرح رويدًا رويدًا على مضارب جديس
تزامنًا مع أصوات القبيلة التي تخفت أيضًا.)

الفصل الرابع

المشهد الثالث

(تظهر الجوقة وهي تغني وتتنقل في أكثر من موقع باحثة عن الزرقاء، التي تظهر عبر الإضاءة، مع نهاية المقطع الغنائي الأول للجوقة، وهي جاثمة في شق المسرح، تسند هزيلة التي تبدو مصفرة ومريضة للغاية، وهادئة بجانبها. فتد حينها على الجوقة. وستقوم هزيلة رغم تعبها بضمّ الزرقاء حين تبدأ الغناء بـ "أنا حزن جديس"، حتى إذا ما ماتت هزيلة في نهاية الغناء تلاحظ الزرقاء وقوعها، ويكون موتها جلياً وصارخاً.)

الجوقة:

تَدْرِينَ يا زرقاء؟

رياحُ راح كالرياح

رياحُ راح كالرياح

رياحُ راحَ ودَّعِيهِ يا بَصِيرَة
رياحُ راحَ ودَّعِيهِ كالصَّبّاح
رياحُ راحَ ودَّعِيهِ كالصَّبّاح

الزرقاء: أنا حُزْنُ جَدِيسٍ
حُزْنُ طَسَمٍ حُزْنُ الرِّيحِ
أنا حُزْنُ جَدِيسٍ
حُزْنُ طَسَمٍ
حُزْنُ الصَّبّاح

(هزيلة تموت بين يديّ الزرقاء. حيث تسقط يديها التي كانت
تضم الزرقاء، وتسقط كلها أرضًا. تحاول الزرقاء تحريكها، لكنها
تتوقف سريعًا كإيمانٍ بذهابها وراحتها.)

الجوقة: عيناكِ تَلْمَعانِ يا هزيلة
عيناكِ تَلْمَعانِ يا هزيلة

الزرقاء :

عيناك نَجْمَتَانِ

تُودِّعَانِ أَرْضَنَا

تودعانِ بهجة القبيلة الأخيرة

قبل مساءٍ من قُدُومِ موتنا

قبل مساءٍ من لحاقنا بالعرب البائدة

الفصل الرابع

المشهد الرابع

(مع إضاءة مناسبة، وموسيقى توحى بالمعركة والموت والحرب، يدخل جيش التبع على جديس، حيث تتم المعركة كلها بالحركة البطيئة، فيباد جميع الرجال، والنساء تفرّ. ومع انطلاق اللحظات الأولى من المعركة تكون الجوقة في طرف المسرح البعيد، وقد انظم لها مجموعة من قبيلة طسم البائدين في ليلة العشاء عند جديس، بثيابهم ودمائهم، حيث يرتصفون بشكل واضح جانب الجوقة، ويغنون جميعاً طوال مشاهد المعركة.)

الجوقة، وقتلى طسم:
انتهيتُم قبلَ ذا يَومٍ انتهينا
اخرتَنا ففنيتم وفنينا
لبيتنا بالسيفِ يوماً ما التقينا
ما الذي اليومَ جَنينا؟
ما لَطِسمٍ أو جَدِيسٍ مِنْ صباخٍ
يا لَطِسمٍ وجديسٍ ووجودٍ..
راح أدراج الرياح

(بعد أن تنتهي المعركة، وتتوزع جثث قبيلة جديس على خشبة المسرح، يخزّ الواقفون مع الجوقة من قبيلة طسم على الأرض، وكأنهم ماتوا مرةً أخرى، والجوقة كما هي خلفهم واقفة. وتظهر الزرقاء بفعل الإضاءة واقفة بثبات دونما حركة في مقدمة المسرح، ممسكة مكحلتها بين يديها وتضمّمها على صدرها. أما جيش التّبّع فيتقوّس بعد انتهاء المعركة في خلفية المسرح بشكل غير منتظم تماماً بين الجثث، ليتقدم حينها وزير التّبّع صوب الزرقاء. ويلحق به رياح بن مرة مسرعاً، فيمسكه جنديان ويثبّتانه من يديه، ويتقدّمان به خلف الوزير حتى يصلوا جميعاً للزرقاء.)

وزير التّبّع: أهذه هي؟

رياح: اعتقها يا سيدي، أرجوك.
أختي الزرقاء، أرجوك.

(وزير التّبّع ينظر في وجه الزرقاء، فيرتبك حين يرى عينيها. يصمت قليلاً، وهو يتأملها وينظر إلى عينيها وهي متسمة بمكحلتها، وبعد برهة ينشد فيها واصفاً.)

وزير التَّبَع: كَحِيلَةُ الْعَيْنَيْنِ
حَدِيدَةُ الْبَصْرِ
تَرَى بِزَرْقَاوَيْنِ
عَيْنَيْنِ كَالْبَحْرِ
خَطِيرَةُ الْعَيْنَيْنِ
شَدِيدَةُ الْخَطَرِ

الزرقاء: ستموتون أيضًا. الفناء لا يزال يخبرني. ستموت أيها
الوزير، وسيموت هذا الجيش.
وهذا قمرنا، قمرنا الجميل. آخر قمر سترونه.

(تنظر الزرقاء في قمر السماء وهي تتحدث، فلا تنزل عينها
منه حتى تعود للرد على الوزير.)

وزير التَّبَع: أَمَتْنَاكُمْ (يضحك).
أَمَتْنَاكُمْ، ولن نموت.

الزرقاء: ستذهبون من هنا، تُريدون جيشًا بعيدًا، ليس ثمة
نصر في مسيركم، ليس غيرُ الفناء، ألا تراه؟ ألا تشمه؟

الوزير: ولماذا نموتُ وفينا كلُّ هذه المَنَعَةِ، ومعنا كلُّ هذا العتاد؟

الزرقاء: ليس هذا العتاد.
عتادُ الحياةِ الحُبِّ.

الوزير: إذا كُنْتَ تَعْرِفِينَ أَنَا سَنَفَنِي حَقًّا. فهل تَعْلَمِينَ ماذا سأفعلُ بِكِ أيتها البَصِيرَةُ؟ (يتبسّم)

الزرقاء: أعرفُ. سَتَعْمَسُ السِّكِّينَ في البَحْرِ، ولن يُحْدِثَ شيئاً مُهمّاً، غير أنَّ الإثْمَدَ سيعودُ لأَحْجارِهِ الأوَّل. وهنالك، سينتظرُ امرأةً جميلةً، تَكْتَحِلُ به، امرأةً نَبَتَتْ من حيثُ نَبَتْ. كلاهما من قلبِ البلادِ، هو حجرٌ عربيّ، وهي عربيَّةٌ حرَّةٌ، ابنةُ عربيٍّ شكيمٍ، وتحبُّ عربيًّا أبيضًا.

وزير التَّبَع: أَتَحْنِينَ للعربِ حتى وأنتِ في النهايةِ؟ هؤلاء؟ ونحن؟ الذين أبدنا بعضنا؟!

(يظلم المسرح كاملاً بعد سؤال الوزير، وتبقى بقعة ضوء وحيدة على الزرقاء، وهي تحببه بالغناء، فتتنقل قليلاً خلال غنائها بين الجيش، والوزير، والجثث، وأخيها المقبوض بين الجند، ويظهر

خلال الحركة كل من تأتي نحوه بفعل الإضاءة التي فوقها
وتتبعها من مكان لآخر، حتى إذا انتهت من غنائها تكون في
مقدمة المسرح، في ذات مكانها الأول.)

الزرقاء: رُبَمَا نَبِيدُ
لَكُنْ سَيَاتِي بَعْدَنَا عَهْدٌ جَدِيدُ
رُبَمَا نَبِيدُ
لَكُنْ عُرْبًا آخِرِينَ سَيُقْبَلُونَ بِيَوْمِ عِيدُ

سَنَعُودُ لِلأَرْضِ الَّتِي خُلِقَتْ لَنَا
سَنَعِيشُ لِلْحَلَمِ الَّذِي يَحْيَا بِنَا
سَتَظَلُّ أَمْتُنَا تَرْدُّ فِي الْمَدَى أُمَجَادَنَا
سَتَظَلُّ أَمْتُنَا تَرْدُّ فِي الْمَدَى أُمَجَادَنَا

(تتوسع الإضاءة قليلاً عندما تُعيد الزرقاء السطر الأخير،
ويتقدم الوزير إليها، فيسملُ عينيها بالسكين، بشكل مفاجئ
وصادم، فتصرخ الزرقاء صرخةً واحدة فقط، وتضع يديها على
عينيها. تحاول التحرك لكن تضيق جهاتها. تتراجع خطوتين
للخلف. تتقدم خطوتين للأمام، لكنّها تهدأ، وتنكس رأسها، وتبعد
يديها من فوق عينيها المخضبتين بالدم والإثمد الأزرق، اللتان
تظهران كجرحٍ داكن يتدفق. وبعد برهة، ترفع رأسها وكأنّها تنتظر

إلى القمر في السماء، ثم تلتفت وتتنظر صوب الأفق البعيد
كعادتها القديمة، ثم تغني أغنيتها الأخيرة.)

الزرقاء:

ليَتِّي كُنْتُ نَهَارًا

لَأَرَى أَقْوَامَ عُرَبٍ آتِيَةً

يَنْثُرُونَ الْحَبَّ فِينَا مِنْ جَدِيدٍ

ليَتِّي كُنْتُ غَدًا ذَاكَ الْبَعِيدُ

يَا بِلَادَ الْعَرَبِ صَبْرًا

إِنِّي أَسْمَعُ أَعْرَاسَ الْغَدِ الْآتِي السَّعِيدِ

ذَاتَ يَوْمٍ حَافِلٍ يَا قَوْمَنَا

يَطْرُقُ الْأَبْوَابَ إِصْبَاحُ جَدِيدٍ

(تجثم الزرقاء على المسرح بعد أن تنتهي من الغناء، وفي ذات اللحظة التي تسقط فيها، يسقط جيش التبع أيضًا بما فيه الوزير ورياح بن مرة، وكأنهم ماتوا جميعاً بموتها. فيصبح المسرح معبأ بالجنث، لا يوجد حيّ عليه، إلا الجوقة التي تبدأ غناء المقطع الأخير للزرقاء. وأثناء ذلك، بعد كل جملة غنائية

للجوقة، تقوم جثتين أو ثلاث جث من فوق الخشبة، وينضمون
للجوقة، ويغنون معها، بوصفهم صاروا من العرب البائدة التي
تمثلها الجوقة، منذ بداية العرض).

الجوقة:

يا بلاد العربِ صبراً

إنني أسمعُ أعراسَ الغدِ الآتي السعيدُ

ذاتَ يومٍ حافلٍ يا قومنا

يَطْرُقُ الأبوابَ إصباحُ جديدٍ

إِظْلَامُ تَامِ
النَّهْيَةِ.



نبذة عن المؤلف

صالح زمانان

شاعر، وكاتب مسرحي سعودي، من مواليد منطقة نجران عام ١٩٨٥م، يعمل ويقيم في العاصمة الرياض.

- شارك في أمسيات ومهرجانات ومؤتمرات في أكثر من ١٧ دولة حول العالم. وعمل في مجال الإدارة الثقافية، وتصميم الفعاليات، والإعلام، في العديد من المؤسسات المعنية بهذه المجالات في المملكة لأكثر من ١٤ سنة.
- صَدَرَ له ١٢ كتاباً في مجال الشعر والمسرح، وكتب ١٦ مسرحية.
- كتب مجموعة من الدراسات والأوراق العلميّة في قضايا المسرح والثقافة.
- له الكثير من المقالات في الصحف والدوريات المحليّة والعربيّة.
- تُرجمت أعماله إلى اللغات الإسبانية، والفرنسية، والإنجليزية، والإيطالية، والصينية، والأوزبكية.
- نال جائزة وزارة الثقافة للكتاب ٢٠١٧م عن كتابه المسرحيّ (فزّاعات نيّة).
- نال جائزة السنوسي الشعريّة ٢٠١٦م عن مجموعته الشعريّة (عائدٌ من أبيه).
- كما حاز على مجموعة متفرقة من الجوائز في مجال التأليف المسرحي.

تويتر: @salehzamanan

فيسبوك: Saleh Zamanan

بريد إلكتروني: zamanan77@gmail.com

هاتف: 00966597297554